الباب الأول

رأى الدين
فى قضية المرأة العاملة

الباب الأول
رأى الدين فى قضية المرأة العاملة

خلق الله سبحانه وتعالى الكون بما فيه من كائنات ، كل له خصائصه ودوره فى الحياة ، ولا ينتقص دور كائن ما إلا ليكمله دور الكائن الآخر حتى تتم دورة الحياة وتتكامل عناصر التكوين .

لذلك فقد خلق الله الأنثى بكل العناصر التى يحتاج إليها هذا المخلوق ، وما أعد له من مهام فى الحياة ، فتتميز المرأة بالعاطفة القوية وتغليبها فى معظم مناحى التصرف ، كما تتميز ببناء جسدى معين لكى تقوم بالمهام المسندة إليها ، كما خلق الله الرجل بصفات جسدية ونفسية مغايرة لصفات المرأة ، ولم يخلق الله هذا التكوين عبثًا . إنما ليكمل كلٌ مهمة الآخر فى الحياة . فالأنثى خلقت أنثى ، وكان من الممكن أن تكون رجلًا ، فهذا ليس بالصعب على الخالق سبحانه وتعالى ، ولكن الله خلقها بهذا التكوين لتكون عليه بحق دون محاولة الانسلاخ من هذا التكوين ، كما خلق الله الرجل لكى يقوم بالمهام الموكلة إليه دون تحريف فيها حتى لا تهتز عناصر دورة الحياة .

إذن لابد أن يكون هذا الأمر من الأمور المسلَّم بها فى الحياة .

وفى هذا المجال يقول العالم الجليل « محمد متولى الشعراوى » ، ما معناه : أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل من

المرأة والرجل مهمته فى الحياة ، فالرجل يحتاج لأن يُحَكِّم عقله فى معظم الأمور ، والمرأة محتاجة أن تذكى العاطفة فى أكثر الأمور ؛ فهى التى تربى وهى السكن وهى الدفء والحنان ، لذلك نجد أنه من تمام الخلق أن يؤدى كل إنسان مهمته ، التى يسرت له فيحدث التوازن الطبيعى .

إذن هذا ناموس الحياة ، وهذه قوانين الطبيعة ، وهذه إرادة الله فى خلقه ، فتعالَى نتناقش فيما يحدث ، إنك تطلبين المساواة بالرجل والخروج للعمل مثل الرجل وتحقيق النجاح خارج المنزل مثل الرجل ، فبالله عليك لماذا تسعين إلى هذه المساواة ؟ فإذا حقق كل امرئ النجاح فى مجاله فهو متميز . فقد خلقت أنت للعمل فى الجبهة الداخلية ، أى داخل المنزل ورعاية الزوج والأولاد وشئون المنزل ، أما الرجل فله العمل بالخارج بما يتضمنه ذلك من طلب للرزق والتعامل مع الأمور الأكثر خشونة وصلابة .

عزيزتى وسيدتى : ما رأيك فى أن نأخذ بجوهر الدين ونصوصه الصريحة ، فهو مرشدنا إلى سواء السبيل ؟ ومن دواعى الفخر أن نجد كثيرًا من السيدات العاملات مرتديات الحجاب ، وهذا معناه أنهن متمسكات بتعاليم الدين ، إلا أنهن يتخذن من الشعارات الجوفاء وقشور الحضارة منهاجًا لهن ، فهنّ يعملن من أجل الكرامة وتحقيق الذات وإثبات الوجود والمساواة بالرجل، فبالله عليك سيدتى : هل الخروج من المنزل وترك الأطفال والتقصير فى حق الزوج ومطالب المنزل

تحقيق للذات ؟ فأى كرامة تبحث عنها تلك السيدة وهى تعانى الأمرّين فى ازدحام المواصلات ، وتَلمُّس الأعذار للتأخير من زملائها ورئيسها فى العمل ؟ فيقول الرسول ﷺ : « **المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان** » . سيدتى تمعنى فى مغزى هذا الحديث ، فهو جامع وشامل لكل سيدة تخرج للعمل متعللة بتحقيق الذات ، ما رأيك فى جوهر الدين والتمسك به ؟ فهو يحمينا من أنفسنا ومما يرد إلينا من شعارات ترتد بنا إلى هاوية لا خروج منها ، وليتك تكللى هذا الحجاب بحسن تصرفك فى حياتك العملية .

وفى هذا المضمار أيضًا نجد الحديث الشريف ، قال ﷺ : « **أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها** » ، والمخدع بيت داخل بيت أو المكان المستور جدًا من المنزل مثل حجرة المرأة . هل رأيت مطالبة بالتستر أكثر من هذا ؟ التستر حتى فى أداء الصلاة مطلوب ، فالخروج لأداء الصلاة فى الجامع ، مفضل عليه الصلاة فى المنزل ، فما بالك بالخروج للعمل من أجل تحقيق الذات والكبرياء والكرامة ؟

سيدتى : لقد خلقك مدبر الكون بصفات معينة ، فيجب أن تحترمى هذه الصفات بداخلك ، فحتى لحظات ضعفك مدعاة للفتنة ، فما بالك بكل ما أوتيت من ملامح تفوح إغراءً للرجل .

فعليك أن تأخذى بجوهر الدين سلمت من كل شر وجزاك الله الخير الكثير فى بيتك وزوجك وأولادك .

سيدتى : ألم تناقشى نفسك ؟ إنك عندما تخرجين للعمل بحجة المساواة بالرجل قد يغضب الرجل نفسه ، قد يقبل على مضض ، ولكنه فى قرارة نفسه غاضب لا محالة ، فماذا عن إغضاب الزوج فى ديننا الحنيف ؟؟

قال ﷺ : « **لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها** » ، ما رأيك يا سيدتى وأنت تطرحين شعور الزوج جانبًا وتخرجين للعمل ؟ ما رأيك وأنت تحاولين ألا تكونى فى حاجة إليه وهو له حق عليك ؟ معصية هى بلا أدنى شك ، دعينى أحدثك عن المرأة فى اليابان وكيف تقدس منزلها وزوجها وأطفالها ، وكيف وصل المجتمع اليابانى إلى ما وصل إليه الآن ، إننى أرجع كل هذا إلى احترام المرأة فى اليابان لزوجها وبيتها أولا ، ثم تأتى باقى الأشياء .

كيف يحترم العالم أجمع تلك المرأة الطائعة الذكية الماهرة ، وذلك بحسن النتائج التى وصلت إليها ، ألا تلاحظين أنها تطبق جوهر دينا نحن ، ونأخذ نحن بقشوره ؟ فلم نجن سوى السطحية وثمار التخلف .

سيدتى : فلترجعى إلى التمسك بشمائل الدين والتأدب بآدابه ، فأحرى بك أنت أن تتخلقى بصفات نادى بها ديننا

المرأة ، ولتتركى الشعارات التى لا تناسب مجتمعنا الشرقى ، جربى أن تتنازلى عن الأنانية والكبرياء وتحقيق الذات ، وكونى لزوجك أرضًا يكن لك سماءً ، وكونى له مهادًا يكن لك عمادًا ، وكونى له أمَةً يكن لك عبدًا ، ولك الجنة بإذن الله .

من هنا نجد سيدتى أن الله قد قدم طاعة الزوج بعد طاعته ، أقصد أن الله سبحانه وتعالى الذى أمرنا بطاعته أمر بطاعة الزوج أيضًا ، فما بالك بتفضيل حقوقك أنت على حقوق الزوج والأولاد ؟ أقصد حقوق تحقيق الذات وما شابه ذلك . هذا الكلام الذى لا تتورع بنات جنسنا عن التشدق به دائمًا ، والأجدر بالمرأة أن تتنزه عن ذلك وتتفهم حقائق الأمور ، ولتتعمق فى فهم أمور الدين من خلال القرآن والسنة والأحاديث النبوية الشريفة حتى تستطيع أن تصل إلى درجة من الوعى والنضج ، تمكنها من فهم الأمور بجدية واتزان .

سيدتى : راعى الله فى كونك أنثى ، وزوجة ، وأمًا ، راعى الله فى رسالتك فى الحياة ولا ترضى عن السمو بمهامك بديلًا ، قاطعى الشيطان المتمثل فى تلك المدارس الفكرية التى لم تجلب سوى الدمار والخراب هى ومن تمسكوا بشعاراتها .

لماذا تسعيْنَ إلى المساواة بالرجل والتشبه به ؟ فقد خُلِقت المرأة بصفات معينة لا بد أن تعتز بها وتفخر لكونها امرأة : حيث أنها صفات تشملها صفات بنات الحور بالجنة ، حيث توضح الآية الكريمة فى سورة الرحمن فى وصف الصورة

المثلى التى ترضى الرجل حتى إنه سوف يجدها فى الجنة ، بوصفهم ﴿ قاصرات الطرف ـ حور ـ عين ـ حسان ﴾ ويمكنك الرجوع إلى تلك الآيات .

فهل هذه الصفات مدعاة للهرب منها ، والتحرج منها ، وادعاء الخشونة وتقمص شخصيات الرجال وجديتهم ؟ أم أنك تلتزمين بأنوثتك ، فتصبح المساواة ضربًا من التهريج والسطحية ؟

فلنفرض مثلًا أنك من العاملات فى مجال الجيش أو الشرطة ، كما نجد بعض فتياتنا ، فبالله عليك (ماذا بعد أن يصبحن سيدات) ، عفوًا فلن يكنّ سيدات ، ولا رجال ، فللأنوثة مظاهر شكلية ومعنوية . فإن ضاع الشكل اختفى معه المعنى ، وإن ضاع المعنى تغير معه الشكل ، فلتترك عمل الرجال للرجال ، ولتقم بإدارة منزلها باقتدار ، ويكفيها فخرًا نجاحها فى ذلك باقتدار .

لقد أوجد الله التوازن الطبيعى فى الحياة ، والأنوثة الكامنة فى جمال المرأة وهدوء طبعها ، تلعب الدور الأساسى فى الإبقاء على هذا التوازن الطبيعى فى العلاقات بين الجنسين ، وهذا بعكس ما نجده الآن من بعض الدعوات المنحرفة التى يروج لها البعض ، أن الجاذبية والروح الخاصة بالأنثى تسىء إلى الكبرياء ، واستقلالية المرأة .

لا عزيزتى حواء ، فأنت لا يعجبك الرجل المتشبه بالنساء ، فلماذا تتشبهين أنت بالرجال ؟ فالرجل قطعًا يعجبه

المرأة كاملة الأنوثة من ناحية الشكل والمعنى والروح ، إن هذه الأمور بدعة ، فعن الرسول ﷺ : « ... **كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار** » ، فتحلى بأنوثتك وافخرى بها ، فهى هامتك الشامخة ، فليس العمل خارج المنزل والتشبه بالرجال فى شخوصهم من متطلبات الرجل فى المرأة .

من جهة أخرى نجد أن اهتماماتك مقسمة بين كونك زوجة وأمًا وعاملة ، فلكل منا طاقة معينة وهى تستنفذ بأداء وظيفتها ، فليس من المعقول أنك تعطين كل شىء حقه الكامل فى جميع مناحى الحياة والعمل ، إذن فأنت نصف زوجة ونصف أم ونصف ابنة ونصف عاملة ، فيبعد بنا ذلك عن قيمنا الدينية التى تنادينا بإتقان جميع أعمالنا ، وعدم الإهمال أو التقصير فى المهام الموكلة إلينا .

أما المنزل ، فيقول الرسول ﷺ : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه** » . فأين أنت من هذا الإتقان أيتها المرأة العاملة وأنت مشتتة الفكر موزعة المشاعر والمجهود ؟ فأنت ترسلين أطفالك إلى الحضانة وتراعين الزوج ، ثم تسرعين إلى حقل العمل ، ثم بمجرد وصولك لا تتورعين عن المحادثات التليفونية للتواصل مع الأصدقاء والأقارب لضيق الوقت ، ثم مستأذنة ساعة الرضاعة وساعة التصاريح الشهرية ، وساعات بدون استئذان ، فتنبعث الفوضى فى أمور العمل الموكل إليك ، وتتعطل مصالح الجمهور . إذن أصبحت

حجر عثرة فى سبيل إتقان أعمال الجمهور ، أو أعمال المنزل ، أو رعاية الأبناء . إنك بذلك خالفت ما نادى به الحديث الشريف من إتقان العمل .

ألم تسمعى سيدتى عن مثل من أمثالنا الشعبية ، وهى مأثورات ناتجة عن حنكة وخبرة بالحياة (صاحب بالين كذاب وأبو ثلاثة منافق) ؟ إذن أصارحك القول بأنك لا يمكن أن تكونى متقنة لأعمالك داخل المنزل وخارجه ، فلا بد أن ينجح أحدهما على حساب الآخر .

كما نجد حديثًا شريفًا آخر يشير إلى أولوية رعاية الزوج والأولاد فى مختلف أمور الحياة ، وهى من صفات المرأة المثالية . قال ﷺ : « **خير نساء ركبن الإبل** » صالحو نساء قريش « **أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده** » [رواه البخارى فى كتاب النكاح من صحيحه]

أى أن المرأة يجب أن ترعى أطفالها ، ثم ترعى الشئون المالية للزوج ومختلف شئونه فى الحياة ، هذا فى المقام الأول ، ولم نجد أن الرسول ﷺ قد أشار إلى أن من صفات المرأة المثالية أن تعمل وتجدّ وتخرج لجلب الرزق أو ما شابه ذلك .

ونجد أنه من عظم الأمور أن نظرية « الأولويات » التى ينادى بها كبار علماء النفس ، والتى تعتمد على أن المؤسسات الزوجية الناجحة تقوم على نظام الأولويات المدروسة دراسة وافية ، وهذا معناه أنه لا يجب على المرأة أن تترك التزامها بحب أولادها وزوجها ، مفضلة عليه حبها لذاتها وتحقيق ذاتها

من خلال عملها خارج المنزل ، ومن العجب سيدتى أن الرسول ﷺ أشار إلى هذا فى حديث موجز ، ولم يتسيد مدرسة لعلم النفس أو يخرج بنظرية فى المعاملات للمواد الإنسانية .

لاحظى أن تعاليم الدين هى تعاليم الماضى والحاضر والمستقبل ، ومن استقاها وجعلها نبراسًا له فى حياته صلح حاله وحال قومه بإذن الله .

أعود فأكرر : أفيقى أيتها الأم ، وتمسكى بجوهر الدين وتعاليمه ، حتى تلحقى بركب الحضارة الحقيقية ، ولا تتخلى عن مهمتك ، فهى مهمة جليلة ترتقى إلى السمو والرفعة ، قد خصك إله الكون بها ، فلك أن تفخرى بالتمسك بها .

وإذا كنا نلتمس تعاليم الدين فى الأحاديث والسنة النبوية الشريفة ، فإن جميع معانيها تنصب فى هذا المجال على حسن تربية الأبناء ، ومصادقتهم ، حتى بالنسبة للأب ، فما بالك بمهمتك الأساسية فى الحياة سيدتى ، فتمعَّنى فى هذا الحديث ، قال ﷺ : « **الزموا أولادكم ...** » ، وهى دعوة للآباء أن يلازموا أولادهم وألا يتركوهم فى مهب الريح ، ومن ثَم كانت مهمة المرأة أساسًا فى رعاية الأبناء وملازمتهم ، فى جميع مراحلهم السِّنِّيَة .

وإنه ليس من العجب ألا نجد نصوصًا أو آيات صريحة فى القرآن الكريم تحث على عمل المرأة ؛ لأن هذه القضية قد

حسمت منذ بدء الخليقة على أساس أن كل جنس قد خلق بمعطيات تتناسب مع ما خلق من أجله ، لذلك كان من البديهى ألا تعمل المرأة وأن يمنع القرآن عملها وخروجها .

ونجد الآية الكريمة تقول : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى ★ إن سعيكم لشتى** ﴾ أى قد فرق الله فى الخلق بين الجنسين ، فمنهم الذكر ومنهم الأنثى ، وأن طرق السعى كانت شتى ، أى لكل منكما طرق سعيه وعمله .

التقاليد اليابانية هى من صميم ما نادى به ديننا الحنيف ، ارجعى إلى الدين فستجدين النبراس فيه .

نجد فى هذا المضمار حديث الرسول ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** » .

ونجد فى هذا المجال أن رجلا قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته ألا تنزل من العلو إلى أسفل ، وكان أبوها فى الأسفل فمرض ، فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن فى النزول إلى أبيها ، فقال ﷺ : « **أطيعى زوجك** » فمات ، فاستأمرته فقال ﷺ : « **أطيعى زوجك** » ، فدفن أبوها ، فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها : « **أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها** » .

حديث آخر للرسول ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت جنة ربها** » .

فأضاف طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام . ولا أظن أن زوجك راض عما تنادين به من شعارات .

فنرجو ألا تتخذ قضايا المرأة رأس حربة موجهة إلى الأمة الإسلامية ، وعلينا أن نتفهم المصلحة ، وأين يكمن الانتفاع الجماعى ، من جهة الأسرة والمجتمع ككل ، ليعمل كل فى موقعه لصالح المجتمع .

☆ ☆ ☆